9

أُفرس العرب القدماء أربعة

ـ مضر وربيعة وإياد وأنمار أولاد نزار

ابن معَدّ بن عدنان

أبناء «نزار بن معد» و«الأفعى الجرهمى»

اشتهر العرب القدماء بالفراسة والذكاء والدهاء ومن أشهر القصص التى تذكر للدلالة على ذلك ما ذكره ابن الجوزى فى الأذكياء وغيره عن أولاد نزار ابن معد بن عدنان وهو أحد الاجداد من الشجرة النبوية[1].

قال ابن الجوزى رحمه الله: حدثنا على بن المغيرة قال:

لما حضرت نزار بن معد الوفاة قسم ماله بين بنيه وهم أربعة: مضر وربيعة وإياد وأنمار.

فقال: يابنى، هذه القبة الحمراء وهى من أدم - أى الجلد - وما أشبهها من المال لمضر.

فسمى مضر الحمراء.

وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من المال لربيعة.

فأخذ خيلاً دهماً فسمى ربيعة الفرس.

وهذه الخادم وما اشبهها من المال لإياد.

وكانت الخادم شمطاء، فأخذ إياد البلق.

وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه.

---

(١) انظر أيضا الكامل لابن الأثير.

فأخذ أنمار ما صار له.

وقال لهم: إن أشكل الأمر عليكم فى ذلك واختلفتم فى القسمة فعليكم بالأفعى الجرهمى[1].

فاختلفوا فتوجهوا إلى الأفعى الجرهمى، فبينما هم يسيرون إذ رأى «مضر» كلأ قد رعى. - ما يأكله البعير -

فقال: إن البعير الذى رعى هذا لأعور.

فقال «ربيعة»: وهو أزور.

وقال إياد: وهو أبتر.

وقال أنمار: وهو شرود.

فلم يسيروا إلا قليلاً حتى لقيهم رجل توضع به راحلته، فسألهم عن البعير فقال «مضر»:

هو أعور؟

قال: نعم.

قال «ربيعة»: هو أزور؟

قال: نعم.

قال «إياد»: هو أبتر؟[2].

قال: نعم.

قال «أنمار»: هو شرود؟

قال: نعم؟ هذه والله صفة بعيرى دلونى عليه.

---

(١) هو أحد حكماء العرب فى الجاهلية وكان يسكن نجران وتقصده العرب للحكم فى مشاكلهم.

(٢) مقطوع الذيل.

فحلفوا له إنهم ما رأوه، فلزمهم وقال: كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته.

فساروا حتى قدموا على نجران، فنزلوا بالأفعى الجرهمى، فنادى صاحب البعير: أصحاب بعيرى وصفوا لى صفته.

ثم قالوا: لم نره.

فقال الجرهمى: كيف وصفتموه ولم تروه.

فقال مضر: رأيته يرعى جانباً ويدع جانباً فعرفت أنه أعور.

وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة بالأثر والأخرى فاسدة الأثر، فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئته لازوراره.

وقال إياد: عرفت بتره بإجماع بعره ولو كان ذيالاً لمضغ بعره به.

وقال أنمار: عرفت أنه شرود أنه كان يرى فى المكان الملتف نبته ثم يجوز إلى مكان آخر أرق منه وأخبث.

فقال الجرهمى: ليسوا بأصحاب بعيرك، فاطلبه ـ أى ابحث عنه.

ثم سألهم: من هم؟

فأخبروه فرحب بهم وقال: تحتاجون إلىَّ وأنتم كما أرى؟

فدعا لهم بطعام فأكل وأكلوا وشرب وشربوا.

فقال مضر: لم أر كاليوم خمراً أجود لولا أنها على قبر.

وقال ربيعة: لم أر كاليوم لحماً طيباً لولا أنه ربى بلبن كلبة.

وقال إياد: لم أر كاليوم رجلاً سرياً لولا أنه ليس لأبيه الذى يدعى له.

وقال أنمار: لم أر كاليوم كلاماً أنفع من حاجتنا.

فلما سمع صاحبهم ـ أى الجرهمى ـ كلامهم.

فقال: ما هؤلاء إلا شياطين.

فسأل أمه فأخبرته أنها كانت تحت ملك ولا يولد له ولد، فكرهت أن يذهب الملك فأمكنت رجلاً نزل بهم من نفسها فوطئها.

وقال للقهرمان ـ أى خادمه ووزيره: الخمر التى شريناها ما أمرها؟!

قال: من حبة غرستها على قبر أبيك.

وسأل الراعى عن اللحم ما أمره؟

فقال الراعى: شاة أرضعناها من لبن كلبة ولم يكن ولد فى الغنم شىء غيرها.

فأتاهم فقال: قصوا قصتكم.

فقصوا عليه ما وصى به أبوهم وما كان من اختلافهم.

فقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر.

فصارت الدنانير والإبل وهن حمر، فسميت «مضر الحمراء».

قال: وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال فهو «لربيعة».

فصارت له الخيل وهى دهم فسمى «ربيعة الفرس».

وقال: وما أشبه الخادم وكانت شمطاء من مال فيه بلق، فهو لإياد.

فصارت له الماشية البلق من الخيل والبقر.

وقضى لأنمار بالدراهم والأرض.

فساروا من عنده على ذلك.

قلت: ويجب أن تعلم هذه القصة للناس لما فيها من الخير وأن العرب كانوا من أفرس الناس.